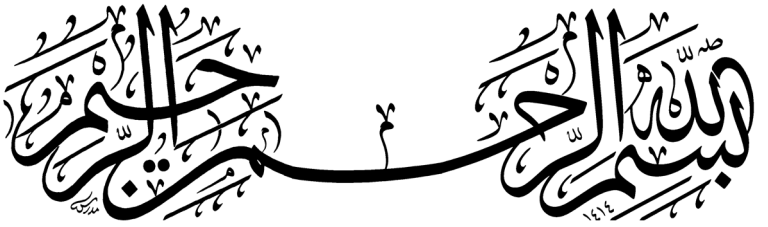
بسم الله الرحمن الرحيم

تصحيح روايات الكتب الأربعة بين النفي والإثبات

نظرية السيّد المجاهد قدس سره في إمكان التصحيح

الشيخ مثنى الساعدي

الحوزة العلميّة - النجف الأشرف

العتبة العباسية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

المكتبة ودار المخطوطات

مركز الشيخ الطوسي قدس سره للدراسات والتحقيق

البحث: تصحيح روايات الكتب الأربعة بين النفي والإثبات نظرية السيّد المجاهد قدس سره في إمكان التصحيح

الباحث: الشيخ مثنى الساعدي .

بلد الباحث: العراق –النجف الأشرف.

مراجعة: مركز الشيخ الطوسيّ قدس سره للدّراسات والتّحقيق.

الإخراج الفني: حيدر جعفر ثامر الجابريّ.

الطبعة: الأولى.

التاريخ: ٦/صفر/١٤٤٣هـ - ١٤/٩/٢٠٢١م

كلمة اللّجنتين العلميّة والتحضيريّة

للمؤتمر العلميّ الدوليّ الأوّل (السيّد المجاهد وتراثه العلميّ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نحمدك اللّهمّ يا مَن شرّعت لنا فيض (مناهل) آلائك، وفتحت مغالق أبواب السماء (بمفاتيح) الرحمة من أوليائك، وشرّعت لنا خاتمةَ الشرائع بسيّد أنبيائك، وأفضل صلواتك وأتمّ تحيّاتك على صفوة الخلق أصفيائك، محمّدٍ وأهل بيته خيرتك ونجبائك، الذين جعلتهم سادة أمنائك و(المصابيح) لهداية عبادك، وأقربَ (الوسائل) لنيل مثوبتك وعطائك، وجعلت (إصلاح العمل) وقبول الأعمال بولايتهم وولائك، واللعنة الدائمة على أعدائهم أعدائك.

وبعد، فقد زخرت سماء العلم والمعرفة في تاريخ الشيعة بنجومٍ لامعة، يهتدي بسناها الضالّون، ويقتدي بهداها المسترشدون، حملوا راية الحقّ ومشعل الهداية، وصدّوا عن الجهل والغواية.

وكانوا كما ورد في الحديث عن الإمام أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكريّ عليه السلام، أنّه قال: قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عليهما السلام: «**عُلَمَاءُ شِيعَتِنَا مُرَابِطُونَ فِي الثَّغْرِ الَّذِي يَلِي إِبْلِيسُ وَعَفَارِيتُهُ، يَمْنَعُونَهُمْ عَنِ الْخُرُوجِ عَلَى ضُعَفَاءِ شِيعَتِنَا، وَعَنْ أَنْ يَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ وَشِيعَتُهُ النَّوَاصِبُ. أَلَا فَمَنِ انْتَصَبَ لِذَلِكَ مِنْ شِيعَتِنَا كَانَ أَفْضَلَ مِمَّنْ جَاهَدَ الرُّومَ وَالتُّرْكَ وَالْخَزَرَ أَلْفَ أَلْفِ مَرَّةٍ؛ لِأَنَّهُ يَدْفَعُ**

عَنْ أَدْيَانِ مُحِبِّينَا، وَذَلِكَ يَدْفَعُ عَنْ أَبْدَانِهِمْ«[1].

فبلّغوا معارف أهل البيت عليهم السلام السامية، وأوصلوا كلمتهم كلمة الحقّ العالية، وبثّوا علومهم الصحيحة الشريفة، وفقّهوا شيعتهم على الأحكام الصحيحة المنيفة، وكانوا بذلك القرى الظاهرة، والواسطة في الفيض، والوسيلة في الهداية، والسبب في الرشاد، كما ورد في مناظرة الإمام الباقر عليه السلام مع الحسن البصريّ، حيث قال عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾[2]:

»فَنَحْنُ الْقُرَى الَّتِي بَارَكَ الله فِيهَا، وَذَلِكَ قَوْلُ الله عَزَّ وَ جَلَّ، فَمَنْ أَقَرَّ بِفَضْلِنَا حَيْثُ أَمَرَهُمُ الله أَنْ يَأْتُونَا، فَقَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾، أَيْ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ شِيعَتِهِمْ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴿قُرًى ظَـٰهِرَةً﴾، وَالْقُرَى الظَّاهِرَةُ: الرُّسُلُ وَالنَّقَلَةُ عَنَّا إِلَى شِيعَتِنَا، وَفُقَهَاءُ شِيعَتِنَا إِلَى شِيعَتِنَا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾، فَالسَّيْرُ مَثَلٌ لِلْعِلْمِ ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا﴾، مَثَلٌ لِمَا يَسِيرُ مِنَ الْعِلْمِ فِي اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ عَنَّا إِلَيْهِمْ فِي الحلاَلِ وَالحرَامِ، وَالْفَرَائِضِ وَالْأَحْكَامِ ﴿ءَامِنِينَ﴾ فِيهَا إِذَا أَخَذُوا مِنْ مَعْدِنِهَا الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَأْخُذُوا مِنْهُ، آمِنِينَ مِنَ الشَّكِّ وَالضَّلَالِ، وَالنَّقَلَةِ مِنَ الحرَامِ إِلَى الحلاَلِ؛ لِأَنَّهُمْ أَخَذُوا الْعِلْمَ مِمَّنْ وَجَبَ لَهُمُ أَخْذُهُمُ إِيَّاهُ عَنْهُمْ بِالْمَعْرِفَةِ، لِأَنَّهُمْ أَهْلُ مِيرَاثِ الْعِلْمِ مِنْ آدَمَ إِلَى حَيْثُ انْتَهَوْا، ذُرِّيَّةٌ مُصْطَفَاةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، فَلَمْ يَنْتَهِ الْأَمْرُ إِلَيْكُمْ، بَلْ إِلَيْنَا انْتَهَى، وَنَحْنُ تِلْكَ الذُّرِّيَّةُ الْمُصْطَفَاةُ، لاَ أَنْتَ، وَ لاَ أَشْبَاهُكَ

(١) الاحتجاج: ٢/ ١٥٥.

(٢) سورة سبأ: ١٨.

يَا حَسَنُ»[1].

وهكذا أنجبت مدرسة أهل البيت عليهم السلام جهابذة الفقهاء، وأفذاذ العلماء، على مرّ العصور وكرّ الدهور، بالرغم من الكبت والتضييق والمخاوف، ممّا لاقته الشيعة دون غيرها من الطوائف، وكانت القرون الأربعة الأخيرة في تاريخ الشيعة من ألمع القرون تطوّراً وازدهاراً، وأكثر الحقب رجالاً، وأثرى الأدوار نتاجاً؛ حيث تزدحم فيها فطاحلُ العلماء وأساطينُ الفقهاء، ويزخر فيها التراثُ بالعطاء، ممّا يستوجب علينا تكثيفَ الجهود العلميّة لإحياء ذكرهم، من خلال تقديم الأبحاث والدراسات، وإقامةِ المؤتمراتِ والندواتِ، عن أبرز تلكم الشخصيّات، وأهمّ أولئك العلماء والأعلام.

ومن ألمع نجوم القرن الثالث عشر هو: الفقيهُ المتتبِّع، الأصوليُّ المتضلِّع، العلّامةُ المتبحِّر، والمصنِّفُ المكثر، الإمام السيّد محمّد الطباطبائيّ الحائريّ الملقّب بـ: المجاهد.

وقد جمع اللهُ في شخصيّته الكريمة جوانبَ فذّة، وخصائصَ عِدّة، منها: الحسبُ الوضّاحُ والنسبُ العريقُ، فوالدُهُ الفقيه الأصوليّ السيّد عليّ الطباطبائيّ الحائريّ، صاحب كتاب رياض المسائل، وجدُّهُ لأُمّه مرجع الطائفة في عصره، الوحيد البهبهانيّ، المعروف بـ: أستاذ الكلّ، وزعيم الحوزة العلميّة، وأستاذُهُ وأبو زوجته الفقيه الكبير السيّد محمّد مهدي الطباطبائيّ، الملقّب بـ: بحر العلوم.

وهو يلتقي في نسبه بأُسر علميّةٍ كآل بحر العلوم، وآل الطباطبائيّ البروجرديّ، ويمتّ بالصلةِ إلى أفذاذِ العلماء، وأساطينِ المجتهدين، أمثال

(١) الاحتجاج: ٦٣/٢، عنه: البرهان في تفسير القرآن: ٥١٧/٤.

العلّامة المجلسيّ، صاحبِ بحار الأنوار، والملّا محمّد صالح المازندرانيّ، صاحب كتاب شرح أُصول الكافي.

مضافاً إلى ما تمتّع به من مواهبَ ربّانيّة، وبيئةٍ علميّة، وأجواءَ روحانيّة، مفعَمةً بالعلم والتقوى، صقلتْ شخصيّتَهُ العلميّةَ، وما تميّز به من نُبوغٍ وذكاء مبكّر، حتّى قطعَ أشواطَ التحصيلِ في مدّةٍ وجيزة، فدرسَ في حوزةِ كربلاء المقدّسةِ على الفقيه والده، وفي النجفِ الأشرف العريقةِ على الفقيه السيّد محمّد مهدي بحر العلوم، وفي الكاظميّةِ المقدّسةِ على الفقيه السيّد محسن الأعرجيّ، وألقى عصى الترحال في حوزة إصفهان، فصار من كبارِ أعلامها ومدرِّسيها، وبذلك فقد ارتادَ مختلفَ الحوزاتِ العلميّةِ، وأخذ العلومَ من شتّى المدارسِ الدينيّة.

وقد آلت إليه المرجعيّةُ بعد وفاةِ والدهِ زعيمِ حوزةِ كربلاء المقدّسة، فخلفَهُ في الزعامة، واجتمعَ عليه طلّابُ أبيه، والتفّتْ حولَه أماثلُ الطلبةِ، فتسنّم زعامةَ الحوزةِ العلميّة، وتسلّمَ مهامّ المرجعيّةِ الدينيّة، فكانت تردُه الأسئلةُ الشرعيّة والاستفتاءاتُ الفقهيّة من شتّى أقطارِ الدول الإسلاميّة، وصدرت رسالتُه العمليّة التي سمّاها: إصلاح العمل، والتي تُعدّ من أهمّ الكتب الفتوائيّة.

وقد عَمرت بوجوده الشريفِ حوزةُ كربلاء المقدّسة بالعلم، فتتلمذَ عليه جمهرةٌ كبيرة من فطاحلِ العلماء وكبارِ المجتهدين، ومن أهمّهم: الأصوليّ الكبير السيّدُ إبراهيم القزوينيّ، صاحب كتاب ضوابط الأصول، والسيّد محمّد شفيع الجابلقيّ، صاحب الروضة البهيّة في الإجازة الشفيعيّة، والشيخُ حسين الواعظ التستريّ والدُ الفقيه الشيخ جعفر التستريّ، والشيخُ محمّد صالح البرغانيّ،

صاحبُ موسوعة بحر العرفان في تفسير القرآن، وأخوه الفقيه الشيخ محمّد تقيّ البرغانيّ، والفقيه الأصوليّ الشيخ محمّد شريف المازندرانيّ، الملقّب بشريف العلماء، والإمام الشيخ مرتضى الأنصاريّ المعروف بالشيخ الأعظم، صاحب كتاب المكاسب وكتاب الرسائل.

ومن أهمّ الحوادث التاريخيّة في سيرة السيّد المجاهد هي فتوى الجهاد التي أطلقها لحماية ثغور الشيعة، والذبّ عن أعراضهم وأموالهم، وتُعدّ أهمَّ حدثٍ في حياته الشريفة، ومنعطفاً تاريخيّاً مهمّاً في سيرته، بل في تاريخ الشيعة، وعلى أساسها عُرف ولُقّب بـ: المجاهد.

وقد خلّف سيّدنا المجاهد كمّاً هائلاً من التراث العلميّ، أهمّها موسوعته الفقهيّة الشهيرة التي سمّاها المناهل، وموسوعته الأصوليّة التي سمّاها: مفاتيح الأصول، وغيرها من مصنّفاته المهمّة، نحو: الوسائل الحائريّة، الذي دوّن فيه أهمّ القواعد الأصوليّة والفقهيّة، وكتاب المصباح الباهر في إثبات نبوّة نبيّنا الطاهر صلى الله عليه وآله، وكتاب عمدة المقال في تحقيق أحوال الرجال، ورسالة الأغلاط المشهورة، التي تصدّى فيها لتصحيح الأخطاء العقائديّة التي تدور على الألسنة، من غير تحقيق.

وانطلاقاً من جميع ما تقدّم من الأدوار التاريخيّة المهمّة، والخصائص الفريدة، والجوانب المغفولة في شخصيّة السيّد المجاهد، عزم مركز الشيخ الطوسيّ رحمه الله للدراسات والتحقيق على إقامة مؤتمرٍ علميٍّ دوليّ، عن السيّد محمّد المجاهد الطباطبائيّ؛ إحياءً لذكراه، وتخليداً لجهوده الجبّارة، ورفداً للمكتبة الإسلاميّة، وسدّ الثغرات العلميّة، عِبر تسليط الأضواء على مختلف جوانب حياته، وسيرته،

وشخصيّته العلميّة والجهاديّة.

ومن العجيب أنّ مصنّفات السيّد المجاهد لم تُطبع وتُحقّق طبعاتٍ علميّة حتّى الآن، والأعجب أنّنا لم نجد كتاباً، أو دراسةً، أو أطروحة، أو مقالةً علميّة عن السيّد المجاهد في المكتبة العربيّة، والفارسيّة، والأجنبيّة، سوى النتف التي لا تُغني ولا تُسمن من جوع، بل وجدنا المصادرَ التاريخيّة شحيحةً بالمعلومات عنه، مضافاً إلى اشتمال بعضها على الأخطاء والهفوات، كما وعثرنا على كلماتٍ وأقاويل غير دقيقةٍ بشأن الفتوى الجهاديّة، وهذا ما يؤكّد بوضوح أهمّيّة إقامةِ هذا المؤتمر.

وكان من أهمّ أهداف المؤتمر: تسليطُ الأضواء على الجوانب المغفولة من سيرة السيّدِ المجاهد وحياتِه، وتسليطُ الأضواء على تراثه العلميّ، وإبراز أهمّيّته، وتحقيق أهمّ مصنّفاته ونشرها، ودراسةُ الدور الريادي في الجهاد للسيّد المجاهد، والردُّ على الشبهات المزيّفة والملفّقة التي تنال من حركته الجهاديّة، وبيانُ عمق تراثنا الفقهيّ والأصوليّ وسعته، والاستفادةُ منه في الأبحاث والدراسات المعاصرة.

وقد قامت اللّجنة العلميّة للمؤتمر بخطواتٍ هادفة ودقيقة في سبيل إقامة المؤتمر على أفضل وجهٍ، وأكمل صورة، وتوزّعت نشاطات المؤتمر على المحاور الآتية:

أوّلاً: محور تحقيق التراث

لمّا كان أكثر تراث السيّد المجاهد لم يُطبع ولم يُحقّق، وقد بادرت بعض المراكز العلميّة بالإعلان عن مباشرتهم بتحقيق كتابيه في علم الأصول، وهما: مفاتيح

الأصول والوسائل الحائريّة، عمدنا إلى أهمّ تراثه العلميّ المتبقّي، فتمّ تحقيقه للمؤتمر، وبالإضافة إلى تحقيق كتاب المناهل الذي أخذ مركز الشيخ الطوسيّ رحمه الله على عاتقه تحقيقه ونشره، وقد قطع فيه شوطاً كبيراً، تمّ تحقيق جملةٍ من مصنّفات السيّد المجاهد، وهي ما يأتي:

١. المصباح الباهر في إثبات نبوّة نبيّنا الطاهر صلى الله عليه وآله، وقد تصدّى فيه للردّ على المسيحيّة، وإثبات خاتميّة الإسلام، صنّفه في الردّ على البادريّ وكتابه في ردّ الإسلام.

٢. المقلاد أو حجّيّة الظنّ، وهو من مصنّفاته الأصوليّة، يُطبع بالتعاون مع مركز تراث كربلاء المقدّسة، التابع لقسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة.

٣. عمدة المقال في تحقيق أحوال الرجال، وهو مصنَّفه الرجاليّ.

٤. الجهاديّة أو الجهاد العبّاسيّ، وهي رسالته الفقهيّة التي صنّفها في أحكام الجهاد.

وكلّ هذه المصنّفات ممّا يُطبع ويُحقَّق لأوّل مرّة، سوى عمدة المقال في تحقيق أحوال الرجال.

ثانياً: محور الدراسات

تمّ استكتاب عدّة دراسات مستقلّة عن السيّد المجاهد، وقد حاولنا فيها استيفاء مختلف جوانب شخصيّته العلميّة، من خلال الاستكتاب في أهمّ العلوم التي صنّف فيها، من الفقه، والأصول، والرجال، والحديث، وإبراز دوره في

هذه العلوم، وتخصيص دراسات أخرى تبحث في أهمّ الجوانب المغفول عنها من حياة السيّد المجاهد الشخصيّة والعلميّة، وذلك حسب الحاجة العلميّة، وإصدار أهمّ الدراسات والكتب عنه رحمه الله، وهي ما يأتي:

١. منهل الوارد في تراجم علماء آل السيّد المجاهد.
٢. السيّد عليّ الطباطبائيّ صاحب الرياض حياته وآثاره.
٣. السيّد المجاهد وكتابه مفاتيح الأصول.
٤. تلامذة السيّد المجاهد.
٥. فهرس مخطوطات مؤلّفات السيّد المجاهد.
٦. دليل وثائق مكتبة آل الحجّة في النجف الأشرف.
٧. شذرات في المنهج الفقهيّ للسيّد المجاهد.
٨. السيّد المجاهد وآراؤه الرجاليّة.
٩. السيّد المجاهد دراسة في المنهج الأصوليّ ومسألة الانسداد.
١٠. قاعدة ترك الاستفصال عند الأصوليّين مع تسليط الأضواء على آراء السيّد المجاهد.
١١. السيّد المجاهد وآراؤه في علم دراية الحديث.

ثالثاً: محور البحوث والمقالات

تنوّعت محاور البحوث والمقالات التي كُتبت في شخصيّة السيّد المجاهد ولاسيّما العلميّة منها بتنوّع العلوم والمعارف، من الفقه والأصول، والعقائد والكلام، وعلوم القرآن والتفسير، وعلوم الحديث والرجال، وعلوم اللغة

العربيّة، والفهارس والببليوغرافيا، والتاريخ، والتراجم.

فقد تمّ استكتاب أماثل الطلبة والفضلاء في الحوزة العلميّة، وعددٍ من أساتذة الجامعات العراقيّة في الكليّات ذوات الاختصاص، في بحوث ومجالات خاصّة، وقد تنوّعت المشاركات من مختلف الدول، من العراق، وإيران، والسعوديّة، ولبنان، والكويت، وغير ذلك، كذلك تنوّعت البحوث بتنوّع محاور المؤتمر في مختلف العلوم والمعارف.

رابعاً: محور الإعلام

اشتمل هذا المحور على جهود مختلفة، أهمّها إعداد فلم وثائقيّ عن حياة السيّد المجاهد العلميّة والتاريخيّة.

ولا يطيب لنا في الختام إلّا أن نتقدّم بالشكر الجزيل والثناء الجميل لكلّ من أسهم وآزر في إقامة هذا المؤتمر العلميّ، ولو بالدعاء، فإنّ من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق عزّ وجل، وفي مقدّمتهم: المرجع الدينيّ الأعلى سماحة السيّد عليّ الحسينيّ السيستانيّ (دام ظلّه الوارف)، الذي واكب السيّد المجاهد في فتوى الجهاد المقدّسة، ولولاها لما تهيّأت لنا الظروف لإقامة نحو هذه المؤتمرات، ونبتهل إلى العليّ القدير أن يُديم ظلّه الشريف.

ونخصّ بالذكر أيضاً: المتولّي الشرعيّ للعتبة العبّاسيّة المقدّسة، سماحة السيّد أحمد الصافي (حفظه الله)، وجميع السادة الأفاضل من المدراء والمسؤولين في العتبة العبّاسيّة المقدّسة، على مشرّفها آلاف السلام والتحيّة.

والشكر موصولٌ لجميع الجهات المساهمة في إقامة هذا المؤتمر، من المؤسّسات

والمراكز العلميّة، والمكتبات الإسلاميّة، ونخصّ بالذكر منهم:

١. مركز إحياء التراث، التابع لدار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة.

٢. مركز تصوير المخطوطات وفهرستها، التابع لدار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة.

٣. مركز تراث كربلاء المقدّسة، التابع لقسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة.

والشكر إلى المشايخ والسادة الأفاضل في اللجان العلميّة، والكوادر الفنّيّة في الأمانة العامّة، والعاملين في مركز الشيخ الطوسيّ رحمه الله، وجميع الأيادي المساهمة في إقامة المؤتمر، ممّن لا يتّسع المقام لذكرهم وعدّهم، فلهم منّا خالص الشكر وفائق التقدير، ونسأل الله العليّ القدير أن يتقّبل منهم ويُثيبهم، ويجزيهم خير جزاء المحسنين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

تصحيح روايات الكتب الأربعة بين النفي والإثبات

نظرية السيّد المجاهد قدس سره في إمكان التصحيح

الشيخ مثنى الساعدي

الحوزة العلميّة – النجف الأشرف

مقدّمة

وبَعد:

فإنّه ممّا لا شكّ فيه، وممّا عُلمَ بالضرورة أنَّ السنّة الشريفة – التي هي قول المعصوم، وفعله، وتقريره عند الإماميّة أعزّهم الله – هي المصدرُ التشريعيّ الثاني بعد القرآن الكريم، والتي يستندُ إليها الفقيهُ لتغطية مساحة واسعة من الأحداث والموضوعات التي تتطلّب أحكاماً تُحملُ عليها؛ ليستندَ إليها المكلّفون في مقامِ العملِ؛ طاعةً للخالق المنعم العظيم.

وهي وإن كانت متأخّرةً في الرتبة عن القرآن الكريم، من حيث القدسيّة، وقطعيّة الصدور، والحاكميّةِ إلّا أنّها تتميّز بالسعة والشمول، والخوض في التفاصيل، وهو ممّا لا تتوفر عليه آيات القرآن الكريم.

ويرجعُ ذلك إلى أَنّ آيات الأحكام في القرآن الكريم وإِن جاوزتِ الخمسمائة

آية إلّا أنّها في غالبها تدور في فلك القواعد، والعمومات، والإطلاق، والإجمال، وهو ما يتطلّب الرجوع إلى الروايات والنظر في ما يصلُح لتخصيص تلك الآيات أو تقييدها، أو تبيينها؛ كيما تكتمل صورة التشريع وتتّضح الملامح النهائيّة للأحكام، **هذا بالنسبة** لما يتعلّق بظواهر القرآن الكريم القابلة للاستظهار العرفيّ.

أمّا بالنسبة إلى باطنهِ، فهو وإنْ كان مشتملاً على بيانِ كلّ شيءٍ من المعارفِ، والأصولِ، والفروعِ، ممّا حكمتْ به الضرورة الدينيّة، ولقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[1]، إلّا أنّه ممّا لا تناله العقول، ولا يَكشِفُ عنه الاستظهار بمعزلٍ عمّنْ خُوطبَ به، وورثته وعترته الذين جعلهم الله تعالى عِدلاً له، واشترط في عدم الضلالِ الأبديّ التمسّك بحبليهما معاً.

ويُمكنُنا أَن نتلمّسَ تلك الأهميّة، ووجه الحاجةِ للروايات الشريفة بتصفّحِ أبوابِ أيٍّ من الدوراتِ الفقهيّة الاستدلاليّة، القديمةِ منها والحديثة، وعلى مختلفِ المشاربِ، والمذاقات، والمدارس الفقهيّة حيث ستجد بشكل واضح أَنَّ الكمّ الأوفر من النتائج والأحكام الفقهيّة يستند إلى الروايات الشريفة.

قال العلاّمة الحلّي﵀: «أكثرُ الأحكام مستفاد من الأخبار النّبويّة والروايات من الأئمّة المهديّة عليهم أفضل الصلوات وأكرم التحيّات»[2].

ولعلّ من أعظم الألطاف الإلهيّة التي حَظيتْ بها الطائفة الإماميّة أنّها

(١) آية ٨٩: سورة النحل.

(٢) خلاصة الأقوال: ٤٣.

استطاعت أن تحافظ على تراثها الروائي على رغم الصعوبات والتحدّيات الشديدة التي أحاطت بالقائمين على هذا الأمر، ابتداءً من الأئمّة عليهم السلام مروراً بأصحابهم وانتهاءً بأصحاب الكتب والمصنّفات والمجاميع الحديثيّة؛ حيث بذلوا الغالي والنفيس، واسترخصوا الأرواح، وبذلوا الدماء في سبيل الحفاظ على سلامة تلك الأحاديث، وضمان انتقالها عبر التاريخ إلى الأجيال اللاحقة.

إلّا أنّ هنالك خلافاً قد وقع بين الأصحاب في مدى إمكان الاعتماد على تلك المجاميع، وكيفيّة التعامل مع ما ورد فيها من الأحاديث وتحديد ما يصلح للاعتبار منها وينفع في الاحتجاج به.

فذهب بعضهم إلى القول بصحّة جميع ما فيها وقبوله من دون حاجة إلى التدقيق والبحث في أسانيدها ورجاله، محتجّين بوجود قرائن دلّت على صحّة الجميع، فلا داعي إلى البحث التفصيليّ في الأسانيد.

وذهب آخرون إلى عدم التسليم بصحّة جميع ما ورد فيها، بل لا بدّ من التحقيق في سند كلّ رواية وردت في تلك المصنّفات، محتجّين بخفاء تلك القرائن علينا، وحصول العلم الإجماليّ بوقوع الدسّ، والتحريف، والتزوير فيها، ولا يتحقّق انحلاله إلّا بالنظر في أسانيد تلك الروايات كلها.

وهذا الخلاف وإنْ كان متحقّقاً في كلّ المجاميع الحديثيّة، إلّا أنّ مركزْ ومحلّ النقاش انعقد حول الكتب الأربعة.

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث، وضرورة تسليط الضوء على فقراته، وإشباعه نقاشاً وتحقيقاً؛ لأنّه من أمّات الأبحاث حيث ترتكز عليه عملية الاستنباط، وترتسم على ضوئه ملامح الشريعة، وسائر المعارف الدينيّة.

وللسّيد المجاهد رحمه الله إفادات مهمّة في هذا الأمر، ونظريّة متميّزة ارتأينا إدراجها ضمن البحث؛ لما لها من أهميّة كبيرة تبعث على ضرورة تسليط الضوء عليها؛ فلذلك عقدنا لها فصلاً خاصّاً، واستشهدنا ببعض كلماته في طيّات البحث أيضاً.

أمّا **المنهج** الذي سلكناه في هذا البحث فهو عرض آراء الأعلام ونظرياتهم بأمانة تامّة مع المحافظة - جهد الإمكان- على نقل نصوصها كما هي من دون تصرّفٍ أو تغيير، ومن ثمّ المقارنة بينها، وتحليلها، ونقدها، ومحاكمتها، وتسليط الضوء على مكامن القوّة والضعف فيها، ثُمّ انتهى بنا البحث إلى نتائج نعتقد - بحسب نظرنا القاصر- أنّها تلامس الحقيقة، وتحكي الواقع، والله العالم.

وأمّا **هيكليّة** البحث فقد رُتّبت على مقدّمة، وتمهيد، ومباحث ستّةٍ، ثمّ الخاتمة.

فكان **التمهيد** بعنوان: **أهمية الحديث عند أهل البيت**. وقد سلّطنا الضوء فيه على أهميّة الحديث عند النبيّ وأهل بيته (صلوات الله عليهم) بعرض الروايات الدالّة على تلك الأهميّة.

وكان **المبحث الأوّل** فكان بعنوان: **تاريخ كتابة الحديث ومراحل تدوينه عند الإماميّة**. وقد ذكرنا فيه نبذةً من تاريخ كتابة الحديث ومراحل تدوينه عند أهل البيت عليهم السلام ابتداءً من كتب أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام مروراً بالأصول الأربعمائة وانتهاءً بالكتب الأربعة.

وأمّا **المبحث الثاني** فكان بعنوان: **تعريف ببعض المصطلحات الواردة في**

البحث. وقد استعرضنا فيه بعض المصطلحات المرتبطة بفهم البحث واستيعابه.

وأمّا **المبحث الثالث** فكان بعنوان: **أدلّة القائلين بصحّة روايات الكتب الأربعة**. وقد استعرضنا فيه أدلّة الأعلام الذين ذهبوا إلى القول بصحّة روايات الكتب الأربعة.

وكان **المبحث الرابع** بعنوان: **مناقشة النافين لأدلّة المثبتين**. وقد ذكرنا فيه الإشكالات التي أوردها النافون لتلك الصحّة على أدلّة المثبتين لها.

وأمّا **المبحث الخامس** فكان بعنوان: **نظريّة السيّد المجاهد في كتابه مفاتيح الأصول**. وقد ذكرنا فيه ما أفاده السيّد محمّد الطباطبائي المجاهد في هذا المجال من آراء مستعينين على ذلك بما سطّره في كتابه الأصوليّ (مفاتيح الأصول).

وكان **المبحث السادس** بعنوان: **النظر في أدلّة الطرفين ومحاكمتها**. وقد عقدناه لمناقشة ومحاكمة أدلّة الطرفين، ومحاولة اكتشاف مواطن القوّة والضعف في ما نظّر له الطرفان.

وأمّا **الخاتمة**، فقد لخّصنا فيها أهمّ النتائج التي تمخّض عنها البحث، والقناعات الأوّليّة التي تشكلّت على ضوئه.

وللشكر والتقدير نصيبٌ في هذه المقدّمة أضعه بين أيدي كلّ من ساهم بجهدٍ في هذا البحث بإبداء النقد، والملاحظة، والنصيحة لاسيّما الأخوة الأفاضل في مركز الشيخ الطوسي للدراسات والتحقيق.

هذا وما لقيته من صعوبات في أيّام إعداد هذا البحث قد ذلّلها الله تعالى؛ إذ

ألهمني صبرًا جميلًا على تحمّلها لإنجازه، فله الحمد أولًا وآخرًا.

ختامًا أسألُ الله تعالى التوفيق في مّا طلبتُ مع قصـــر البـاع وقلّـة الاطّـلاع، راجياً من الله تعالى التوفيق والقبول.

مركز النجف الأشرف للدراسات والتحقيق

تمهيد

أهميّة الحديثِ عند أهلِ البيتِ عليهم السلام

ممّا قدمناه تأتي أهميّة السنّة الشريفة، وضرورة حفظها، والاعتناء بها عبرَ الأجيال والقرون، واختلاف المراحل التاريخية التي مرّت بها؛ لأنها مصدرٌ مهمٌّ لا يمكن الاستغناء عنه، سواء في جانب المعارف والاعتقادات، أم في الجانب التشريعيّ الفقهيّ، أم في الجانب الخُلُقِي السلوكيّ؛ ولذا نجد أنَّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام اعتنوا بهذا الأمر عناية شديدة، بالتشجيع على حفظ الحديث، والترغيب في تحمّله، وكذا روايته، وتدوينه، ونجدُ ذلك واضحاً جليّاً متمثّلاً في عشرات الروايات الشريفة المرويّة عنهم في هذا الشأن، **وهي على أصناف**:

الأوّل: نجدُ فيه حثّاً على تلقّي الحديث، وسماعه، وحفظه، وبيان الثواب المترتّب عليه، كما في الخبر المرويّ في وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين علي عليه السلام حيث كان من جملةِ ما أوصاه به هو حفظُ الحديث، وبيّن له الثواب المترتّب عليه، فقد روى الصدوق مُسنداً عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال: «**إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أوصى إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان في ما أوصى به أن قال له: يا علي من حَفِظَ من أمّتي أربعين حديثاً يطلب بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة؛ حشره الله يوم القيامة مع النبيّين، والصدّيقين، والشهداء، والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً**»[1].

(١) الخصال: ٥٤٣.

فهو يُنبئُ عن المنزلة الرفيعة، والمكانة الشريفة التي يكون عليها حافظ الحديث يوم القيامة، واشترط في ذلك أن يكون عمله خالصاً لوجه الله تعالى، وهو من الشروط السيّالة في جميع ما يقوم به العبدُ من أعمال وجهود في إطار الشريعة الإسلاميّة.

وكذا ما روي في المحاسن عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام «**قال: قال لي: يا جابر، والله لحديثٌ تصيبه من صادق في حلال وحرام خيرٌ لك ممّا طلعت عليه الشمس حتّى تغرب**»(١).

وهو واضحٌ في أَنَّ إصابة الحديث وحيازته خيرٌ من أيٍّ من الموجودات المادية على وجه هذه الأرض.

الثاني: نجدُ فيه حثّاً شديداً على رواية الحديث، وبثّه في الناس، ونقله إلى الأجيال اللّاحقة، كما في ما رواه الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: «**إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله خطب الناس في مسجد الخيف، فقال: نضَّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، وحفظها وبلّغها من لم يسمعها، فرُبَّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه**»(٢).

ويستفادُ منه – فضلاً عن أهميّة حفظ الحديث ونقله، وتبليغه– جنبةٌ أخرى في غاية الأهمّيّة، وهي: وعي الحديث، وفهمه، والتفقّه فيه، لا مجرّد حفظ ألفاظه، وترديدها على اللسان فقط مجرّدةً عن الفهم.

---

(١) المحاسن: ٢٢٧.

(٢) الكافي: ٤٠٣/١ /١، باب ما أمر النبي صلى الله عليه وآله النصيحة فيه لأئمة المسلمين.

وكذا في ما روي في من لا يحضره الفقيه عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد وصف من يروي حديثه ممّن يأتي من بعده بأنّهم خلفاؤهُ «قال أمير المؤمنين عليه السلام: **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم ارحم خلفائي، قيل: يا رسول الله، ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون من بعدي يروون حديثي وسنّتي**»(١).

وهو وصفٌ في غاية الأهمّيّة والشرف، وظاهرٌ في شمول جميع أفراد من يروي حديثه وسنّته إلى آخر الزمان.

وأمّا ما رواه الشيخ الصدوق رحمه الله عن عبد السلام بن صالح الهروي، عن الإمام الرضا عليه السلام، ففيه أنّ الإمام عليه السلام قد وصف حفظ الحديث، وروايته، وتعليمه للناس بأنّه إحياء للدين وشريعة سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله، قال: سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: «**رحم الله عبداً أحيا أمرنا، فقلت له: وكيف يُحيي أمركم؟ قال: يتعلّم علومَنا ويعلّمها الناس؛ فإنَّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا**»(٢).

وفي الكافي عن عليّ بن حنظلة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**اِعرفوا منازل الناس على قدر روايتهم عنّا**»(٣)، فجعل ميزان الناس وتحديد مكانتهم هو مقدار روايتهم عنهم عليهم السلام.

الثالث: ونرى عناية بالغةً في ضرورة كتابة ما يصدر عنهم عليهم السلام وتدوينه، وذكروا لتلك العناية بعض العلل والفوائد، ففي ما روي عن الإمام الحسين عليه السلام

(١) من لا يحضره الفقيه: ٤/٤٢٠/٥٩١٩.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/٢٧٥، حديث ٦٩.

(٣) الكافي: ١/٥٠، باب النوادر، حديث١٣.

نجد أَنّه علّلَ سبب دعوته إلى كتابة ما يصدر عنه؛ بأنّه أحفظ للحقّ من الاندراس، وأنجع في نشر أحقّيتهم، وإيصال ظلامتهم للناس، حيث أَنّه عليه السلام تكلّم في جمْعٍ أغلبهم من التابعين وأبناء الصحابة، فقام عليه السلام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: «**أمّا بعد: فإنّ الطاغية قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم، ورأيتم، وشهدتم، وبلغكم، وأنّي أريد أن أسألكم عن أشياء فإن صدقت فصدّقوني، وإن كذبت فكذّبوني، اسمعوا مقالتي، واكتبوا قولي، ثمّ ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم من أمنتموه ووثقتم به، فادعوهم إلى ما تعلمون، فإنّي أخاف أن يندرس هذا الحقّ ويذهب، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون...**»[1].

وفي ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه علّل ضرورة الكتابة بأنّه لا يمكن حفظ الأحاديث إلّا بكتابتها وتوثيقها، فعن أبي بصير رضي الله عنه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**اكتبوا فإنّكم لا تحفظون حتّى تكتبوا**»[2]؟.

الرابع: ونجدُ فيه دعماً معنويّاً كبيراً وواضحاً لمنْ تصدّى للرواية عنهم عليهم السلام، وذلك من خلال توثيقهم وتعزيز مكانتهم عند الناس، ودفع بعض الشكوك التي قد ترد على بعضهم، والحثّ على سماعهم والأخذ عنهم، كما في ما ورد عن الإمام الهادي عليه السلام في مدح وتوثيق العَمريّان: (فعن أبي علي أحمد بن إسحاق، عن أبي الحسن عليه السلام، **قال**: سألته وقلت: من أعاملُ، وعمّن آخذ، وقول من أقبل؟ فقال له: **العمريّ ثقتي فما أدّى إليك عنّي فعنّي يؤدّي، وما قال لك عنّي فعنّي يقول، فاسمع له وأطع، فإنّه الثقة المأمون**، وأخبرني أبو علي أنّه سأل أبا محمد عليه السلام

(١) الاحتجاج: ١٩/٢.

(٢) الكافي:٥٢/١، باب رواية الكتب والحديث وفضل الكتابة والتمسك بالكتب، حديث٩.

عن مثل ذلك، فقال له: «**العمري وابنه ثقتان، فما أدّيا إليك عنّي فعنّي يؤدّيان وما قالا لك فعنّي يقولان، فاسمع لهما وأطعمها فإنّهما الثقتان المأمونان...**»[1].

وكذا ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام في مدح وتوثيق زكريّا بن آدم، حيث روى أحمد بن الوليد، عن عليّ بن المسيب، قال: «قلت للرضا عليه السلام: شقّتي بعيدة، ولست أصل إليك في كلّ وقت، فمِمّن آخذ معالم ديني؟ قال: **من زكرّيا بن آدم القمّي المأمون على الدين والدنيا...**»[2].

وكذا نجدهم عليهم السلام يبادرون لدفع التشكيك الذي قد يحصل في من يروي عنهم أحاديثهم كما في دفع ذلك عن زرارة، حيث روى يونس بن عمّار أنّه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنَّ زرارة قد روى عن أبي جعفر عليه السلام: أنّه لا يرث مع الأم والأب والابن والبنت أحدٌ من الناس شيئاً إلّا زوج أو زوجة؟ «**فقال أبو عبد الله عليه السلام: أما ما رواه زرارة عن أبي جعفر عليه السلام فلا يجوز أن تردّه...**»[3].

وكذا في ما روي عنه أيضاً عليه السلام: «...**فإنّه لا عذر لأحدٍ من موالينا في التشكيك في ما يؤدّيه عنّا ثقاتنا، قد عرفوا بأنّنا نفاوضهم سرّنا، ونحملهم إيّاه إليهم، وعرفنا ما يكون من ذلك إن شاء الله تعالى...** »[4].

إلى غير ذلك من الأحاديث والروايات التي وردت عنهم عليهم السلام والتي تكشف

(١) المصدر نفسه: ٣٣٠/١، باب في تسمية من رآه عليه السلام، حديث ١.

(٢) الفقيه: ٢٥١/٤، باب علل اختلاف الأخبار وكيفية الجمع بينها، حديث ٦٨.

(٣) رجال الكشي: ٣٤٦، رقم ٢١١.

(٤) المصدر نفسه: ٨١٦، رقم ١٠٢٠.

عن مدى عنايتهم عليهم السلام ورغبتهم في سماع الرواية، وتحمّلها، وروايتها، وكتابتها، تمهيداً لحفظها من الضياع وضمان انتقالها إلى الأجيال اللّاحقة عبر سلسلة من الرواة الذين نذروا أنفسهم لتحمّل هذه المسؤولية الجسيمة، والوظيفة العظيمة؛ كي لا تضيع معالم الشريعة وتندرس آثارها.